الحركة العمرانية في العراق للمدة (٦٥٦- ٧٠٠هـ/ ١٢٥٨- ١٣٠٠م)

عن طريق كتاب الحوادث لمؤلف مجهول

The urban movement in Iraq for the period (656-700 AH / 1256-1300 AD) through the book AL-Hawadith by an unknown author

م. م. ثائر حسن عبد الله صالح

Asst.lect. Thaer Hassan Abdullah Saleh

جامعة سامراء/ كلية الآداب

University of Samarra \ College of Arts

E-mail: thaer.h@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: بغداد، الاليخانيون، جامع القصـــر، عطا ملك الجويني، المدرســـة المستنصرية.

Keywords: Baghdad, the llekhanes,the palace-mosque, Atta malik al-juwayni, Al-Mustansiriya School.

الملخص

خضـــع العراق للســـيطرة المغولية بعد احتلالهم لبغداد ســـنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) فدخل مرحلة جديدة من تاريخه الطويل، وقد شاعت النشاطات العمرانية في العرق أثناء النصف الثاني من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، فظهرت بعض المنشآت المختلفة في بغداد بشكل خاص، كان لرجال الدولة والأعيان دور رئيس في إقامتها، ولكي يســـهل دراســـتها وتتبع ذلك النشاط العمراني كان كتاب الحوادث ميداناً مناسباً لاستعراض ذلك النشاط لما للكتاب من أهمية كبرى ضمن نطاق المصادر التاريخية التي تؤرخ لتلك المرحلة، فبرز هناك نشاط حقيقي واضح كان للسلطة الحاكمة دور في تنمية الحركة العمرانية وزيادة وتيرتها بعد أن توقفت لعدة أشهر بعد الاحتلال المغولي.

Abstract

Iraq was subjected to Mongol control after the occupation of Baghdad in the year (656 AH / 1258 AD), and it entered a new phase in its long history, and construction activities spread in Iraq during the second half of the seventh century A.H. / thirteenth century AD, so some different facilities appeared in Baghdad in particular, and it was for statesmen Notables played a major role in its establishment, and in order to facilitate its study and track that urban activity, the Book of Accidents was an appropriate field for reviewing that activity because of the great importance of the book within the range of historical sources that date that stage, so a real and clear activity emerged. The ruling authority had a role in developing the urban movement and increasing its pace After it stopped for several months after the Mongol occupation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تشـكل دراسـة الوظائف العمرانية جانباً مهماً من جوانب الحضـارة العربية الإسـلامية، وتكتسب أهميتها من كونها مرتبطة بحياة البشر ولكونها تهدف إلى تحقيق الصالح العام والمنفعة لجميع فئات المجتمع.

برزت أهمية الجانب العمراني أثناء العصر العباسي (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩- ١٢٥٨م) فأقام العباسـيون العديد من المنشـآت المختلفة الوظائف، إلا أن احتلال المغول لبغداد سـنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وما تلاها من خضـوع المدينة للحكم الإليخاني نتج عنه تغيرات في واقع الحركة العمرانية في بغداد بشـكل خاص والعراق بشـكل عام، فشـهدت هذه المدة العديد من الأعمال العمرانية سـواء كانت من قبل السـلطة المركزية أو من قبل رجالات الدولة، أو من قبل عامة الناس.

ويعد كتاب الحوادث المنسـوب لابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ /١٣٢٣م) من الكتب المهمة التي أرخت لمرحلة ما بعد الاحتلال المغولي للعراق، فقد أولى مصـنفه المجهول عناية واضـحة بالجانب العمراني في المدة المعنية، ومن الملاحظ أنه كان قريباً من الأحداث التي أرخ لها زمانياً ومكانياً، لذا فإن ما أورده من معلومات متعلقة بالجانب العمراني تكتسب المصداقية المطلوبة في التحري عن الحقيقة التاريخية، وتزداد احتمالية ذلك إذا أخذنا بنظر الاعتبار تأكيد المصـادر الأخرى التي تناولت ذات الحقبة الزمنية لمعلومات المصنف.

لذا كان اختيارنا لكتاب الحوادث ميداناً بحثياً أكثر ملائمة من المصـادر الأخرى للبحث عن طبيعة الحركة العمرانية في عموم العراق أثناء النصـف الثاني من القرن السـابع للهجرة/ الثالث عشـر للميلاد، وتحت عنوان ((**الحركة العمرانية في العراق للمدة (٦٥٦- ٧٠٠هـ/ ١٢٥٨- ١٣٠٠م) عن طريق كتاب الحوادث لمؤلف مجهول**)).

قُسم البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

جاء في المبحث الأول تعريف بالكتاب ونسبته إلى ابن الفوطي.

وتكلمت في المبحث الثاني عن العمارة الدينية وشملت الجوامع والمساجد والربط والترب والمدافن.

أما المبحث الثالث فشمل على العمارة المدنية من مدارس ومنشآت خدمية.

المبحث الأول:

يعد كتاب الحوادث من أوسـع التواريخ التي تناولت تاريخ العراق بعد الغزو المغولي وإلى نهاية المئة السـابعة للهجرة/ الثالثة عشـر للميلاد، بل يكاد يكون المصـدر الوحيد لكثير من الحوادث التاريخية التي مرت بها بغداد في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة[١].

أولاً: مؤلف الكتاب:

اختلف المؤرخون المحدثون في تسمية الكتاب ونسبته للمؤلف[٢]، فذكر العلامة مصطفى جواد كيفية العثور على نسخته الخطية والتي أطلق عليه اسم الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ونسبه إلى مؤرخ العراق ابن الفوطي[٣]، ثم نشره محققاً عام ١٩٣٢م[٤]، لكنه تراجع فيما بعد عن نسبته لابن الفوطي، وأكد أن ثمة اختلاف واضح ما بين الأسلوب التأليفي لمصنف كتاب الحوادث وأسلوب ابن الفوطي، وقال: "ثم تبين لي أنه ليس الحوادث الجامعة ولا يمكن أن يكونه أبداً ولو على ظن ضعيف، وذلك لاختلاف الخطين، وتباين الأسلوبين، واختلاف مناحي الكتابين في ذكر التراجم، وخفاء ذاتية مؤلف الحوادث وظهور ذاتية ابن الفوطي في كتاب تلخيص معجم الألقاب"[٥].

وتلا ذلك إعادة تحقيق الكتاب من قبل الاستاذين بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف في عام (١٩٩٦م)، وأكدا استحالة نسبة الكتاب إلى ابن الفوطي من دون أن يتمكنا من تحديد هوية المصنف بشكل دقيق، فذكرا: "حاولنا نحن أيضاً أن نجد دليلاً على ترجيح نسبة الكتاب إلى أحد المؤرخين ولكننا لم نجد من الأدلة ما يعيننا على ذلك"[٦].

وظلت شخصية مصنف الكتاب مجهولة تماماً لدى الدارسين بالرغم من أن أحد الباحثين وهو الاستاذ مهدي النجم أعاد تحقيق الكتاب عام ٢٠٠٣م، مؤكداً على أن الكثير من الباحثين مصرين على نسبته لابن الفوطي، دون أن يورد الحجج التي تدعم رأيه فقال: "رأيت أن أقدم الكتاب منسوباً لابن الفوطي تاركاً صحة هذه النسبة أو عدمها لما ستتمخض عنه الأيام، أو ما سيتوصل إليه الباحثون، وحسبي أني أقدم نصاً نفيساً في تاريخ مدة من الزمن عزَّ فيها الباحثون"[٧].

لذلك يبقى أمر تعيين شخصية مصنف الكتاب مجهولاً تماماً بالرغم من مرور ما يقرب من ٩٠ سنة عن نشر أول تحقيق لهذا الكتاب.

ثانياً: التعريف بالكتاب:

كان لفقدان الصفحات الأولى والأخيرة للكتاب سبباً في غموض اسم الكتاب واسم مؤلفه، لذلك شرع المحققون الذين انكبوا على تحقيق متن الكتاب على دراسته دراسة مستفيضة، عن طريق وصف المخطوط وأسلوب المؤلف ومنهجه في الكتاب، وتبين أن الكتاب اقتصر على حوادث القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، فبالرغم من أن النسخة المخطوطة تبدأ بحوادث سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، إلا أن ثمة دلائل نصية تؤكد فقدان الأوراق الأولى من المخطوط[٨]، لذا ذهب البعض منهم على أن الكتاب يبدأ مع بداية القرن السابع للهجرة وينتهي بنهايته، وهو بذلك يتطابق مع عنوان الكتاب المنسوب لابن الفوطي[٩].

ويبدو من تتبع منهج المصـنف أنه اعتمد على الحوليات في عرض مادته التاريخية التي تبدأ بحوادث سـنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) وينتهي بحوادث سـنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، ثم أورد عقب أحداث كل سـنة قائمة بأبرز وفيات الأعيان، وهو بذلك يتبع المنهج التاريخي الذي سـاد في العصر العباسي الأخير، عند ابن الجوزي[١٠]، وسبط ابن الجوزي[١١]، وغيرهما.

ويبدو من الكتاب أن المصنف قضى معظم سنوات حياته أثناء النصف الثاني من القرن السـابع للهجرة، فكان قريباً من الأحداث التي جرت إبان تلك المدة لذلك كان دقيقاً في وصـفها وتتبع مجرياتها، كما أضـفت سـردية الأحداث طابع المصـداقية فابتعد عن المبالغة والتضـخيم، فكان كتابه من أكثر المصادر ثقة في قراءة الأحداث ودراستها.

المبحث الثاني: العمارة الدينية

ظلت المباني والمنشـآت الدينية التي شُـيدت في العصـر العباسـي (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩- ١٢٥٨م) قائمة أثناء المرحلة موضـوعة البحث، لا سـيما المسـاجد الجامعة، وقد أورد مصـنف كتاب الحوادث بعض النصـوص المتضـمنة معلومات حول تغيرات عمرانية طرأت على المنشآت الدينية بعد احتلال المغول لبغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، ولعل أبرزها ما قام به جنود الاحتلال من حرق ممنهج لمعظم مظاهر المدينة العمرانية، حتى وصـف الأوضـاع العامة ببغداد بقوله ((...واسـتولى الخراب على البلد...))[١٢]، ومن بين أهم المباني والمنشـآت الدينية التي طرأت عليها تغيرات عمرانية هي:

أولاً: الجوامع والمساجد:

تعد الجوامع والمسـاجد أبرز المنشـآت الدينية ببغداد لما لها من ارتباط وثيق بتأدية فروض العبادة، لذلك انتشـرت العديد منها في نواحي مختلفة من المدينة، فقد شـهدت بناء أكثر من جامع على مدى قرون عديدة من العصر العباسي[١٣]، إلا أن ما يميز حركتها العمرانية أثناء المرحلة موضـوعة البحث، لم يرد فيها ما يشير إلى أي استحداث في بناء جامع أو مسجد جديد في عموم نواحي بغداد، وكل ما جرى هو إعادة تعمير وتجديد طالت بعضـها، ويمكن إيرادها بما يلي:

١ – عمارة جامع القصر (جامع الخليفة):

يعد جامع القصـر من أبرز جوامع الجانب الشـرقي لمدينة بغداد، يعود تاريخ بنائه إلى نهاية القرن الثالث للهجرة/ التاسـع للميلاد، حين أمر الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩- ٢٩٥هـ/ ٩٠١- ٩٠٧م) بعد توليه الخلافة مباشرة ببنائه ضمن حدود دار الخلافة سنة (٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، ومرَّ عبر تاريخه الطويل بتعميرات عديدة فأصـبح الجامع في نهاية القرن السـادس للهجرة/ الثاني عشـر للميلاد من أبرز معالم بغداد الشـرقية[١٤]، فقد أشـاد به ابن جبير فقال عنه: ((...جامع

الخليفة متصل بداره، هو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء والطهور...))[١٥]، وكان السبب وراء عمارة الجامع والعناية به أنه اتخذ من قبل الخلافة العباسية جامعاً رسمياً تعلن من على منبره القرارات الرسمية للدولة، وتنفذ في محيطه العقوبات الخاصة بالأحكام الجزائية ضد المخالفين[١٦].

تعرَّض الجامع بعد احتلال المغول لبغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) لعملية حرق طالت مبنى الجامع[١٧]، ضمن السياسة الوحشية التي اتبعها الجنود المغول تجاه منشآت المدينة وسكانها، فأشار المصنف إلى أن الجامع تعرض للحرق مع ما يجاوره من أبنية[١٨] في شهر صفر، ويبدو أن تلك العملية كانت ضمن حملة واسعة شملت على ما ذكره ابن كثير ((...قتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد...))[١٩].

طبقاً لذلك ظلَّ الجامع محترقاً مع غيره من المنشآت الأخرى ببغداد بضعة أشهر، وهو ما أكده المصنف حين ذكر عملية إعادة ترتيب الأوضاع العامة ببغداد عند وصول الأمير قراغا[٢٠] بعد شهر جمادى الآخرة، فقال: ((...ووصل الأمير قراغا بعد ذلك إلى بغداد، عيَّن عماد الدين عمر بن محمد القزويني[٢١] نائباً عنه، ... وعيَّن علي شهاب الدين بن عبد الله[٢٢] صدراً[٢٣] في الوقوف، وتقدم إليه بعمارة جامع الخليفة، ثم فتح المدارس والربط، وأثبت الفقهاء والصوفية وأدرَّ عليهم الأخباز والمشاهرات...))[٢٤]، ويفهم من النص أن المنشآت الدينية بشكل عام ظلَّت مغلقة منذ دخول المغول بغداد في شهر صفر وحتى وصول قراغا في شهر جمادى الآخرة، أي ما يقارب أربعة أشهر أو يزيد، و يشير النص إلى إعادة ترتيب إدارة تلك الجوامع من إمامة للصلاة أو خطابة، وهو ما أكده ابن الفوطي حين أشار إلى أن الفقيه عز الدين أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن عباد الأصفهاني الخطيب (ت، ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، كان أول من خطب بالجامع بعد الوقعة[٢٥].

شهد الجامع تعميراً آخر بعد تولي علاء الدين عطا ملك الجويني[٢٦] الحكم في العراق، فأمر بتجديد عمارة منارة جامع القصر[٢٧]، وكلَّف شهاب الدين علي بن عبد الله الذي كان يتولى صدرية الوقف، فشرع في ذلك وانجزت في آخر شهر شعبان من سنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م)، إلا إنها سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح[٢٨]، أي ما يقرب من شهر بعد إتمام عملية الترميم.

وذكر المصنف في حوادث سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، إتمام عمارة منارة الجامع[٢٩]، لكنه لم يذكر تاريخ البدء ببنائها وربما قد استغرقت أكثر من سنة إذا ما أُخذ بنظر الاعتبار حجم

المنارة وارتفاعها، وهي التي لا تزال قائمة بالجانب الشـرقي من بغداد، يطلق عليها محلياً اسـم (منارة سوق الغزل)[٣٠].

٢ – إعادة بناء مسنَّاة[٣١] مسجد قُمْرية:

وهو من أبرز مساجد الجانب الغربي من بغداد، بني سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) بأمر من الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣– ٦٤٠هـ/ ١٢٢٥– ١٢٤٢م)، فأشار المصنف إلى بنائه فقال: ((...ونقل إليه الفُرش والآلات وقناديل الذهب والفضـة والشـموع وغير ذلك... ورُتِّب فيه ثلاثون صبياً يتلقنون القرآن...))[٣٢]، وأكد ابن الكازروني ذلك فقال: ((...أمر (المستنصر بالله) ببناء مسجد بالجانب الغربي على نهر عيسى بن علي الهاشمي[٣٣] في موضع يعرف بقُمْرية فتمت عمارته في سنة ست وعشرين وستمائة وشرط أن يكون فيه من المتلقنين ثلاثين نفساً وشيخ فضل به ومعيد...))[٣٤].

ثم جُدد المسجد سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) فأُعيد فرشه بالسجاد المبالغ فيه[٣٥]، غير أنه تعرض لضرر من جراء الفيضان الكبير الذي اجتاح بغداد سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) فخُرِّبت نصف مسنّاته ((...فعُمِل له سِكْرٌ من خشب وطرفاء...))[٣٦].

وبعد الاحتلال المغولي لبغداد بقي المسجد ومسناته على ذلك الحال حتى سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) حين أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد مسناته وإعادة بنائها على ما كانت عليه زمن بنائه[٣٧].

٣ – عمارة مسجد الشيخ معروف[٣٨]:

لا يُعلم على وجه التحديد بناء الجامع، فقد دفن الشيخ معروف الكرخي بعد وفاته بمقبرة باب الدير[٣٩] التي كانت تقع على ضفة نهر عيسى، وقد بُني على القبر في وقت لاحق قبة ظلَّت قائمة حتى سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) حين تعرضت لحريق أتى على جميع ما كان فيها، فأمر الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢– ٤٦٥هـ/ ١٠٣٠– ١٠٧٢م) بإعادة بنائها[٤٠].

وقد أُنشئ عند القبر مسجد عُرف لاحقاً باسم مسجد الشيخ معروف يعود بنائه إلى سنة (٦١٢هـ/ ١٢١٤م) طبقاً لما مكتوب على حوض المنارة التي لا تزال قائمة قرب مرقد الشيخ معروف[٤١].

وقد ورد ذكر المسجد في كتاب الحوادث، فأشار المصنف إلى أن الخراب أصابه جراء الفيضان الكبير الذي اجتاح مدينة بغداد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)، فوقعت مسنّاته، وبقي على تلك الحال من الخراب حتى تم تعميره على دفعتين، الأولى سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، إلا أنها لم

تنجز بشكل كامل، فأتمَّ عمارته سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) شمس الدين محمد ابن الجويني[١] صاحب ديوان الممالك[٤٢].

ثانياً: الربط[٤٣]:

شاع بناء الربط في مدينة بغداد في العصر العباسي الأخير فظهرت العديد منها في أنحاء متفرقة ببغداد، ومارست أدواراً متعددة، إذ لم تكن مقتصرة على التعبد والزهد، بل كان لها دور في حركة التعليم، فكانت اماكن للدراسة لا سيما فيما يتعلق بالعلوم الدينية كالحديث وتعليم القران كما كانت بعض الربط مسكنا لأهل الشعر والادب، فأصبحت ملجأً للصوفية والزهاد والعلماء وطلاب العلم[٤٤].

وبعد الاحتلال المغولي لبغداد استمرت اهمية الربط، فذكر المصنف في حوادث سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) أن الربط ظلَّت معطلة ما بين شهر صفر وحتى وصول الأمير قراغا إلى بغداد بعد شهر جمادى الآخرة، فأعاد تنظيم إدارة بغداد، فعَّين عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائباً عنه، وعيَّن شهاب الدين علي بن عبد الله صدراً في الوقوف، وتقدم إليه بفتح الربط واثبت الفقهاء والصوفية وأعاد صرف مستحقاتهم[٤٥].

وجرى بناء وتعمير عدد من الربط بمدينة بغداد وغيرها من مدن العراق، ضمن المدة موضوعة البحث، فذكر المصنف أن علاء الدين صاحب الديوان أمر ببناء رباط بمشهد الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ليسكنه المقيمون هناك، ووقف عليه وقوفاً كثيرة، وخصص لمن يسكنه ما يحتاجون إليه[٤٦].

ولم يقتصر بناء الربط على السلطة المركزية بل كان هناك العديد من العلماء والفقهاء والشيوخ من ينشأ هذه الاربطة، ففي سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) توفي الشيخ الصالح الزاهد محمد بن السكران[٤٧]، فدفن في رباطه بناحية المباركة من الخالص[٤٨] بالجانب الشرقي من بغداد وبنى عليه قبة وعمل عليه ضريح من خشب[٤٩].

وبنت ذات العصمة شاه زوجة علاء الدين[٥٠] في سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) رباطاً للمتصوفة خارج مدينة بغداد قرب مشهد عبيد الله[٥١]، وعلى ما يبدو فإن هذا الرباط كان ضمن مجمع أمرت ببنائه زوجة علاء الدين ضمَّ مدرسة وتربة لها فضلاً عن الرباط المذكور[٥٢].

كما أشار المصنف إلى أن ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي[٥٣] بنى رباطين، الأول في المدائن، فذكر في حوادث سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) قوله: ((...وفيها عمَّر ناصر الدين شاه

---

(١) الصاحب شمس الدين محمد بن محمد الجويني الكاتب، من بيت الرياسة والسيادة والوزارة والسياسة، دخل بغداد وتولى ديوان الممالك، قتل سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م). ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص٣٦٧؛ مؤلف مجهول، الحوادث، ص٣٢١.

الصـاحبي رباطاً للفقراء في مشـهد سـلمان الفارسـي (رضـي الله عنه)[٥٤]، وأسـكن فيه جماعة، وأوقف عليه قرايا بواسـط وعدة مواضـع في بغداد...))[٥٥]، وأشـار في حوادث سـنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) ما نصه ((...وقتل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي في تبريز[٥٦]، وحُمِلَت جثته إلى بغداد، فدفنت في رباط كان قد عمَّره مجاور قبر سـلمان الفارسـي وجعل فيه جماعة من الفقراء...))[٥٧].

أما الرباط الثاني فقد بناه في مدينة البصـرة حين كان والياً بها[٥٨]، ولا يُعلم على وجه الدقة تاريخ بنائه.

وكان الرباط الوحيد الذي أنشأ في مدينة بغداد داخل سورها أثناء المدة موضوعة البحث والذي ورد ذكره في كتاب الحوادث هو الرباط الذي أنشأ في دار المسناة[٥٩]، فأشار إليه المصنف في حوادث سـنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) فقال: ((...ثم أمر (قتلغ شـاه) بقتل مظفر الدين علي بن علاء الدين صـاحب الديوان، فنفذ إلى بغداد من قبض عليه واعتقله أياماً، ثم قُتل ودفن في دار المسناة التي بأعلى بغداد، وعُملت الدار رباطاً...))[٦٠].

ويبدو مما تقدم أن غالبية الربط التي أنشـأت في العراق أثناء النصـف الثاني من القرن السـابع للهجرة/ الثالث عشـر للميلاد، توزعت خارج مدينة بغداد في نواحي عديدة من العراق كالنجف، والبصـرة، والمدائن، فيما عدا ما ذكره المصـنف من تحويل دار المسـناة الشـهيرة إلى رباط، كما ويلحظ على تلك الربط أنها كانت تبنى لإيواء الفقراء والمتصـوفة، وكانت غالباً ما تخصص لها أوقاف كمصادر تمويل لتلك الربط.

ثالثاً: الترب[٦١] والمدافن[٦٢]:

انتشـرت عمارة الترب والمدافن في أنحاء متفرقة من العراق، وكانت قد ازدهرت في العصـر العباسـي الأخير، إلا أنها تراجعت بشكل ملحوظ أثناء النصـف الثاني من القرن السـابع للهجرة، وانعكس ذلك التراجع على ما تضمنه كتاب الحوادث من نصوص تتعلق بذلك الموضوع، فبالرغم من أهمية تلك المنشـآت عند المسـلمين[٦٣]، إلا أن الإشـارات بخصـوص انشـاء الترب محدودة، ففي نص أشـار إليه المصـنف إلى ظاهرة بناء المراقد الوهمية والتي غالباً ما كانت تستقطب شريحة واسعة من عامة الناس، فأشـار في حوادث سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) أن رجلاً رأى ((...في المنام أن بعض أولاد الحسن بن علي عليه السلام في موضع بقراح ابي الشحم[٦٤] فأعلم الناس بذلك، فنبشوا الموضع فوجدوا فيه قبراً، فتبرع بعض الموسرين وأخرج شيئاً من ماله وشـرع في عمارته، وشـاع ذلك ببغداد فحضـر خلق كثير للزيارة ونذروا له نذوراً صـح أكثرها، فاجتمع من ذلك شـيء كثير، فعمَّر بالآجر والجص، وعُمل عليه ضـريح ورتّب فيه بواب وفراش وإمام ومؤذن وسمي مشهد عبد الله الباهر...))[٦٥].

وفي حادثة أخرى جرت سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) أشار المصنف بقوله: ((...وفيها رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلاً بالسماء وفي صبيحتها، قال بعضهم أنه رأى قبراً فيه أحد أولاد الحسن ... فانهال الناس لزيارته، ثم شرعوا في عمارته...))[٦٦].

ومن جانب آخر أشار المصنف إلى عمارة بعض التربة الخاصة بالأعيان وكبار رجالات الدولة، ومنها تربة بنيت سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، أمرت بإنشائها ذات العصمة شاه بجانب الرباط الذي بنته عند مشهد عبيد الله شمال بغداد الشرقية[٦٧]، ودفنت فيها بعد وفاتها، و دفن إلى جانبها في ذات التربة ابنها منصور بن علاء الدين بعد مقتله سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)[٦٨]، وتلا ذلك دفن أخيه مظفر الدين علي بن علاء الدين سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) بعد أن نقل جثمانه من دار المسناة[٦٩]، لذلك فقد أصبحت التربة فيما بعد مدفناً للأسرة الحاكمة في تلك المدة.

و بنيت تربة أخرى ببغداد سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) دفن فيها بهاء الدين حسن بن محاسن التاجر الصرصري[٧٠]، وكان قد أعدها لنفسه على شاطئ دجلة تجاه داره ببغداد[٧١].

وبنيت بعض الترب داخل المدارس مثل التربة التي أشار إليها المصنف في حوادث سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) فقال: ((...وفيها توفي الملك إمام الدين يحيى البكري القزويني[٧٢] صاحب ديوان بغداد بالحلة، وحُمل إلى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسته بدرب فراشا[٧٣]...))[٧٤].

ويلحظ مما تقدم أن عمارة الترب والمدافن في العراق قد تراجعت بشكل ملحوظ في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة، وتركزت أكثر تلك الترب على الأعيان من أفراد الطبقة الحاكمة، في حين لم يرد أية معلومات تتعلق بنشاط عمراني بخصوص تعمير أو تجديد المراقد والترب القديمة، لذلك من الواضح أن الأحوال العمارية لتلك الترب بدأت تتراجع وتؤول إلى خراب.

المبحث الثالث: العمارة المدنية

أولاً: المدارس:

قدمت المدارس الى جانب الوظيفة العلمية خدمات خيرية كالسكن للطلاب والمدرسين والصوفية والزهاد وغيرهم من الفقراء وجعلت للطلاب نظام الجراية في الطعام فلم يكن انشاء المدارس تابع لمؤسسة الخلافة أو فقط حكراً على الرجال، وقد شهدت مدارس بغداد إغلاقاً تاماً أثناء الاجتياح المغولي لبغداد، وظلَّت مغلقة عدة أشهر، حالها حال أغلب المنشآت العامة في المدينة، حتى وصول الأمير قراغا إلى بغداد بعد شهر جمادي الآخرة، فأعاد تنظيم الحياة الإدارية ببغداد، فوجَّه تعليماته بفتح المدراس والربط وغيرها من المؤسسات العامة ببغداد[٧٥].

وقد شـــهدت بغداد في النصـــف الثاني من القرن الســـابع للهجرة اهتماماً ملحوظاً ببناء المدارس وعمارتها، وعن طريق ما تضمنه كتاب الحوادث من نصوص بخصوص عمارة المدارس يمكن تكوين صورة شبه واضحة حول طبيعة ذلك النشاط الذي توزع بين تجديد المدارس السابقة، وبناء مدارس جديدة.

فقد أولى علاء الدين صـــاحب الديوان حال توليه أمر العراق وبغداد بعمارة المدارس، فكانت من ضمن مشاريعه العمرانية ما ذكره المصنف في حوادث سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) فقال: ((...وفيها تقدم علاء الدين صـاحب الديوان بعمل دولاب تحت مُسـنّاة المدرسـة المسـتنصـرية يقبض الماء من دجلة ويرمي إلى مزملتها، ثم يجري تحت الأرض إلى بركة عُملت في صـــحن المدرســـة، ثم يخرج منها إلى مزملة عُملت تجاه إيوان الســـاعات خارج المدرســـة، وجدد تطبيق صـــحنها وتبنيد حيطانها، وكان المتولي لذلك شـــمس الدين حميد الخراســـاني[٧٦] صـــدر الوقف...))[٧٧].

ومن جانب آخر فقد شـــهدت بغداد بناء بعض المدارس التي توزعت في أنحاء مختلفة منها، فأشـار المصـنف إلى قيام ناصـر الدين قتلغ شـاه الصـاحبي ببناء مدرسـة سـنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م)[٧٨]، لكن لم يذكر المصنف اسم المدرسة ولا مكان بنائها.

كما أشـــار في حوادث ســـنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) ما نصـــه ((...وفيها تكاملت عمارة المدرسة التي أمرت بأنشائها زوجة[٧٩] علاء الدين صاحب الديوان، مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام ظاهر بغداد وسميت العصمتية، ووقفتها على الطوائف الأربعة، وبنت إلى جانبها تربة لها ورباطاً للمتصوفة، وفُتحت في هذه السنة...))[٨٠]، ومن الواضح أن تسمية المدرسة بالعصمتية نسبة إلى لقب منشأتها ذات العصمة شاه زوجة الأمير علاء الدين صاحب الديوان.

وذكر المصـنف في حوادث سـنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) قوله: ((...وفيها، توفي بهاء الدين حسـن بن محاسـن التاجر الصـرصـري ودفن في تربة أعدها لنفسـه على شـاطئ دجلة تجاه داره ببغداد، وعمل مجاورها داراً للقرآن المجيد، ووقف عليها عدة أماكن...))[٨١].

وظهرت مدرسة أخرى بناها الملك إمام الدين يحيى البكري القزويني بدرب فراشا بالجانب الشرقي من بغداد، وكان قد دفن بها بعد وفاته سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)[٨٢].

ثانياً: المنشآت الخدمية:

بعد الدمار الذي أصـــاب بغداد من جراء الاحتلال المغولي توقفت الحياة العامة ببغداد عدة أشـــهر نتيجة لتعطل المؤســـســـات العامة ومنها الخدمية، حتى أمر قراغا بإعادة فتح تلك المؤسـسـات وتعمير ما خُرب منها إبان الاحتلال، إلا أن ما بني من منشـآت خدمية وتعمير ما تخرب منها لا يتناسب وحجم ذلك الدمار، وقد وردت بعض النصوص في كتاب الحوادث تعكس

مقدار الأعمال الانشـــائية التي طالت ذلك القطاع العمراني المهم، وقد تنوعت منشـــآته ما بين الحمامات والجسور وغيرها من منشآت أخرى.

ذكر المصـــنف بعض المشـــاريع الخدمية التي كانت في غالبها من إنشـــاء علاء الدين صـــــاحب الديوان أثناء مدة حكمه على العراق، فأقام بعض المشـــــاريع العمرانية ذات الطابع الخدمي، ومنها ما ذكره المصـنف في حوادث سـنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) أن علاء الدين صـاحب الديوان أمر ببناء حمام تجاه باب الظفرية[٨٣] خارج سور مدينة بغداد[٨٤]، وأمر بعد ذلك بسنوات وبالتحديد في سـنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) بعمل دولاب تحت مُسـناة المدرسـة المسـتنصـرية يغذي المدرسة بالمياه ثم يخرج منها إلى مزملة[٨٥] أنشأت مقابل باب المدرسة لخدمة المارة[٨٦].

كما أمر علاء الدين في سنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) بعمارة ((...موضـع في نهر جعفر[٨٧] من أعمال واسط سماه المأمن، وبنى فيه ديواناً وخاناً وحماماً وسوقاً، وانتقل إليه خلق كثير، وكان التجار المنحدرون إلى البصـرة والمصـعدون منها يصـعدون متاعهم إليه فانتفعوا به وأمَّنوا على أموالهم...))[٨٨].

وكان علاء الدين حريصـاً على مصـالح عامة الناس متابعاً لمشـاكلهم، فأشـار المصـنف إلى بعض الأعمال العمرانية التي أمر بها علاء الدين لمعالجة الأزمات التي كانت تعصـــف بالمدينة بين سـنة وأخرى، فأشـار في حوادث سـنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) إلى ما نجم عن الحريق الذي أصـاب سـوق المدرسـة النظامية[٨٩]، ((...فأحترق جميعه وهلك فيه خلق كثير مما كان في الغرف وذهب من أموال الناس شيء كثير، فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وقف المدرسة...))[٩٠].

وأمر في ســـنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) بعمل حياض في دروب بغداد وتملأ بالماء احترازاً لأي حريق قد ينشـب في بغداد، بعد موجة الحرائق التي اجتاحت المدينة في تلك السـنة والتي لم يُعلم سببها[٩١].

وشـملت عنايته معالجة الأزمات إلى الحد الذي شـارك فيها بنفسـه، فأشـار المصـنف في حوادث سـنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) إلى ذلك فقال: ((...وفيها زادت دجلة وغرقت ببغداد عدة أماكن وانفتح في القورج[٩٢] فتحـة عظيمـة، فخرج علاء الدين صـــــاحب الديوان وكافـة الولاة والاكابر والعوام، وأخذ الصاحب باقة شوك وضعها على فرسه فلم يبق أحد إلا وفعل مثله، ونزل الصاحب وعمل بيده وتكاثر الناس وتساعدوا فاستدركوها وسدوها...))[٩٣].

وامتدت أعماله العمرانية خارج مدينة بغداد، فحرص على إقامة بعض المشـــاريع هناك، ومنها مدينة تسـتر[٩٤]، فأمر سـنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) بعمل ((...جسـر من قوارب وحمله إلى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته فنصب هناك...))[٩٥].

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة تم التوصل إلى جملة من النتائج التي يمكن إيجازها بما يلي:

- يعد كتاب الحوادث لمؤلف مجهول من الكتب المهمة التي أرخت للمدة موضوعة البحث بمختلف جوانبها، فكان مصدراً أساسياً للأوضاع العامة في العراق لما بعد الاحتلال المغولي سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

- كانت مدينة بغداد محور النشاط العمراني الذي قام به الإليخانيون بعد احتلالهم للعراق، فتركز نشاطهم العمراني فيها أكثر من باقي مناطق العراق.

- بعد مدة قصيرة من الاحتلال المغولي ظهر العناية بالجانب العمراني عن طريق إعادة إعمار الجوامع والمساجد والربط من قبل السلطة الحاكمة في بغداد.

- تنوع النشاط العمراني في عموم العراق ما بين تعميرات المنشآت القائمة، وإنشاء مباني جديدة.

- كانت المدارس من أبرز المنشآت التي بنيت في بغداد والعراق أثناء المدة موضوعة البحث.

- كما أولت السلطة الحاكمة عناية واضحة في مجال بناء المدافن والترب، وأنشأ أكثر من مدفن وتربة أثناء المدة موضوعة البحث.

- أسهمت السلطة الحاكمة ورجال الدولة المتنفذين في النشاط العمراني فأقاموا العديد من المنشآت إلى جانب رعايتهم للمنشآت التي كانت تحتاج إلى إعادة تعمير.

- أعطت المعلومات التي أوردها المصنف صورة شبه واضحة عن حجم وطبيعة النشاط العمراني أثناء النصف الثاني من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

الهوامش والمصادر:

(١) مؤلف مجهول، كتاب الحوادث، تحقيق، بشار عواد معروف، عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٩٧م) مقدمة التحقيق، ص٦.

(٢) اقتبس منه يوسف رزق الله غنيمة بعض النصوص اسماه كتاب تاريخ العراق في عهد المغول لمؤلف مجهول. ينظر: غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات (بغداد، ١٩٢٤م) ص١٤٨.

(٣) ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني، نشأ ببغداد، ولازم نصير الدين الطوسي بعد أن وقع بأسر المغول عند احتلالهم لبغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وأخذ عنه علم النجوم وجملة من العلوم الأخرى، كما جعله الطوسي مشرفاً على خزانة كتب مرصده بمراغة، عاد إلى بغداد سنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)، فصار خازناً لمكتبة المستنصرية، ثم رحل إلى تبريز وعمل بمعية الوزير رشيد الدين الهمذاني حتى سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) حين قُتل رشيد الدين فعاد ابن الفوطي إلى بغداد واستقر بها حتى وفاته سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م). ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٢٢.

(٤) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت، ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق، مصطفى جواد، المكتبة العربية (بغداد، ١٩٣٢م) مقدمة التحقيق.

(٥) مصطفى جواد، مؤرخ العراق ابن الفوطي، مجلة المجمع العلمي العراق، مج (٦)، ١٩٥٩م، ص٣٧٢.

(٦) مؤلف مجهول، كتاب الحوادث، مقدمة التحقيق، ص١٠.

(٧) ابن الفوطي، كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق، مهدي النجم، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٣٣م) ص٣.

(٨) أورد مصطفى جواد في مقدمته لتحقيق كتاب الحوادث بعض الأدلة النصية على فقدان الصفحات الأولى من الكتاب. ينظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، تحقيق، مصطفى جواد، مقدمة التحقيق ص (ك- م)؛ كما أورد مهدي النجم بعض تلك الأدلة في مقدمة تحقيقه. ينظر: ابن الفوطي، كتاب الحوادث الجامعة، تحقيق، مهدي النجم، مقدمة التحقيق، ص٦.

(٩)، كتاب الحوادث، تحقيق، مصطفى جواد، ص (م).

(١٠) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، فقيه حنبلي ومؤرخ، حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، وبرز في كثير من العلوم والفنون، من أبرز مصنفاته كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وكتاب صفوة الصفوة، وكتاب أخبار الوعاظ والمذكرين وكتاب مناقب بغداد وغيرها، توفي سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ٢٠٠٣م) ج١٢، ص١١٠٠؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت، ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية (بيروت، ٢٠١٢م) ج١٣، ص٣٥.

(١١) سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله التركي، الإمام الواعظ الحنفي، أحد العلماء المؤرخين، سمع من جده ابن الجوزي، وعبد المنعم بن كليب، وعمر بن طبرزد، وغيرهم، كان إماماً بالوعظ، علامة بالتاريخ والسير، وافر الحرمة محبباً إلى الناس، انتقل إلى دمشق واستوطنها حتى وفاته سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م). ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٦.

(١٢) الحوادث، ص٣٥٩.

(١٣) بني ببغداد عدد من الجوامع التي كانت تصلى فيها صلاة الجمعة، وظلَّ أغلبها قائماً إلى الاحتلال المغولي لبغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وهي: جامع المنصور، وجامع الرصافة، وجامع الشرقية، وجامع براثا، وجامع القصر، وجامع الحربية. ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) تاريخ بغداد، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ٢٠٠٢م) ج١، ص٤٣٦؛ مصطفى جواد، وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، المجمع العلمي العراقي (بغداد، ١٩٥٨م) ج٢، ص٥٢.

(١٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٤٢٩؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٧٧م) ج٢، ص٢٥١؛ الخصر، زكريا هاشم أحمد، وفرحان، حسان يحيى، جامع القصر ببغداد دراسة في أحواله العامة حتى الاحتلال المغولي سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، مج٢٩، عدد٩، ج١، ص٣٢١.

(١٥) أبو الحسين محمد بن أحمد (ت، ٦١٤هـ/١٢١٦م) رحلة ابن جُبير، دار ومكتبة الهلال (بيروت، د. ت) ص١٨٣.

(١٦) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٢م) ج٩، ص١٣٢؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت، ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية (دمشق، ٢٠١٣م) ج٢٢، ص٥.

(١٧) رشيد الدين، الخواجة فضل الله الهمداني (ت ٦٨٨هـ/ ١٣١٨م) جامع التواريخ، ترجمة، محمد صادق، فؤاد عبد المعطي، دار احياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٦٠م) مج٢، ج١، ص٢٩٣.

(١٨) الحوادث، ص٣٥٩.

(١٩) البداية والنهاية، ج٩، ص١٤٤.

(٢٠) الأمير قراغا: لم أقف له على ترجمة في المصادر المتوافرة.

(٢١) عماد الدين عمر بن محمد القزويني: كان من أعيان أهل قزوين المعروفين بمتانة الدين وحسن اليقين، قدم بغداد بعد الاحتلال المغولي، وتولى الديوان بها، فعمَّر المساجد والمدارس والربط، وأعاد رونق الإسلام. ينظر: ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت، ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق، محمد الكاظم، وزارة الثقافة الإرشاد الإسلامي (طهران، ١٩٩٥م) ج٢، ص١٢٤– ١٢٥.

(٢٢) شهاب الدين علي بن عبد الله: عين من قبل هولاكو صدراً في الوقف سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) كما أن هناك إشارة إلى كونه صدراً للوقوف أيضاً سنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م). ينظر: آل ياسين، محمد مفيد، دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني عهد السيطرة المغولية (٦٥٦–٧٣٧هـ/ ١٢٥٨–١٣٣٦م) دار غيداء (عمان، ٢٠٠٩م) ص٧٦.

(٢٣) الصدر: من الوظائف الادارية العليا التي كانت ضمن الوحدات الادارية التابعة للإدارة العامة في بغداد، وكانت كلمة الصدر تطلق على رئيس أحد الدواوين الكبيرة التي تتكون منها الحكومة المركزية ومنها صدر الوقف، أما في العهد الايلخاني فأن هذه الوظيفة أصبحت تطلق على الشخص الذي يتولى أعلى سلطة إدارية ويطلق عليها أحياناً لقب (الملك) ولم تتغير المنزلة الاجتماعية للصدور في العهد الايلخاني كثيراً عما كانت

عليه في العهد العباسي المتأخر. ينظر: مجهول، الحوادث، ص٣٦٢؛ حميد، جعفر صادق عبد الأمير، النظم الإدارية في العراق في عهد المغول الإليخانيين (٦٥١- ٧٥٦هـ/ ١٥٣- ١٣٥٥م) بحث منشور، مجلة المستنصرية للعلوم والتربية، مج (٢٠)، عدد (٢)، ٢٠١٩م، ص٣٦٤.

(٢٤) الحوادث، ص٣٦٢.

(٢٥) معجم الالقاب، ج١، ص٢٤٨.

(٢٦) الصاحب علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني الخراساني، صاحب ديوان بغداد، تأدب بخراسان ولزم النظم والنثر والمكارم والسؤدد، وكان فيه عدل ورفق بالرعية، إذ أسقط المغارم عن الفلاحين، ولمَّ شعث الناس وعمَّر بغداد، وكان له إحسان للفقهاء والعلماء. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٤٥٣؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) فوات الوفيات، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٢م) ج٢، ص٤٥٢.

(٢٧) يعود بناء منارة جامع القصر إلى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م). ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣١٢؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق، خليل مأمون، دار المعرفة (بيروت، ٢٠١١م) ج٨، ص٣١٤.

(٢٨) مجهول، الحوادث، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٢٩) الحوادث، ص٤٤٤.

(٣٠) الكرملي، أنستانس، منارة سوق الغزل، مجلة لغة العرب، بحث منشور بغداد ،السنة ٦، ج١، كانون الثاني، ١٩٢٨م، ص٢- ٥؛ مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص١٢٥.

(٣١) المسنّاة: بناء ضخم سميك من الآجر أقيم لإسناد وحماية البناء من ناحية النهر لحفظها من أخطار التجريف. ينظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت، ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) جمهرة اللغة، تحقيق، رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٨٧م) ج٢، ص١٠٢٢؛ البعلي، شمس الدين محمد بن أبي الفتح (ت، ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق، محمود الأرناؤوط، مكتبة السوادي (د. ت، ٢٠٠٣م) ص٤٩٤؛ سعدي، أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر (دمشق، ١٩٨٨م) ص١٨٦.

(٣٢) الحوادث، ص٢٠.

(٣٣) نهر عيسى: نهر مأخذه من الفرات عليه كورة كبيرة وقرى كثيرة، يمر على المحول ثم يتفرع منه أنهار في غربي بغداد، ويدخل مدينة السلام حتى يصب بنهر دجلة عند قصر عيسى ومنه أخذ تسميته. ينظر: الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (تن ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٨م) ج٢، ص٦٥٦؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٩٥م) ج٤، ص٢٢٨.

(٣٤) ظهر الدين علي بن محمد (ت، ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) مختصر التاريخ، تحقيق، مصطفى جواد مطبعة الحكومة (بغداد، ١٩٧٠م) ص٢٦٠.

(٣٥) الحوادث، ص٢١٦.

(٣٦) الحوادث، ص٣٣٥، ٣٤٦.

(٣٧) الحوادث، ص٣٩٩.

(٣٨) الشيخ معروف الكرخي: أبو محفوظ معروف بن فيروز، كان أبواه نصارى فأسلم على يد علي بن موسى

الرضا وأصبح مولى له، وهو من أعلام المتصوفة وكبارهم، واشتهرت بركاته وكراماته وله حكايات في استجابة دعواته ولا يزال قبره قائم في الجانب الغربي من مدينة بغداد معروف يزار المتوفى (٢٠٠هـ /٨١٥م). ينظر: السلمي، محمد بن الحسين بن محمد (ت، ٤١٢هـ/ ١٠٢١م) طبقات الصوفية، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب (بيروت، ١٩٩٨م) ج١، ص٨٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٢، ص٣٥٢؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الادب، ج٢، ص١٢٥-١٢٦٨.

(٣٩) مقبرة باب الدير: وهي مقبرة واسعة وكبيرة نشأت منذ وقت مبكر بعد بناء مدينة بغداد المدورة، وسميت بذلك لوجود دير للنصارى كان هناك وظل حتى زمن متأخر من العصر العباسي. ينظر: ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت، ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار المعرفة (بيروت، ١٩٥٤م) ج٢، ص٥٥٥.

(٤٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٠٥.

(٤١) مصطفى جواد، أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل، المجمع العلمي العراقي (بغداد، ١٩٥٨م) ص٩٠.

(٤٢) الحوادث، ص٣٢١.

(٤٣) الربط: جمع مفردها رباط، مشتقة من ربط الشيء أي شدَّه، وأصل الرباط كان مواقع اتخذها المسلمون خلال مرحلة الفتوحات لمرابط المقاتلين فيها، ثم تحولت فيما بعد إلى أمكان لإيواء المنقطعين والزهاد، حتى بدأت تتحول في العصر العباسي إلى مؤسسات دينية خاصة بالمتصوفة. ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت، ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) مختار الصحاح، تحقيق، محمود خاطر، مكتبة لبنان (بيروت، ١٩٩٥م) ص٢٦٧؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت، ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٧م) ج٤، ص٣٠٢.

(٤٤) المعاضيدي، عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي، الدار العربية للموسوعات (بيروت، ٢٠٠٦م) ص٢٤٠، ٢٤١.

(٤٥) مجهول، الحوادث، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٤٦) مجهول، الحوادث، ص٣٩١.

(٤٧) محمد بن سكران بن أبي السعادات بن معمر، القدوة بقية السلف شيخ العراق أبو الفقراء، وهو الزاهد المشهور سكن ناحية المباركة من أعمال الخالص واستوطنها وعمر فيها رباطاً وأنشأ إلى جانبه بستاناً، وسكن عنده جماعة من الفقراء المريدين له المعتقدين فيه واستعملهم في الزراعة وكان ينفق في كل سنة ما يزيد عن خمسة مائة درهم يصنع به الأطعمة الكثيرة للفقراء المتوفى سنة (٦٦٧هـ /١٢٦٨م). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص١٤٦؛بشار عواد معروف ، اخبار الزهاد العثور على اثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي (٥٩٣_ ٦٧٤) ،مجلة المورد ،العدد ٣(بغداد،١٩٧٤) ص،٣٠١ .

(٤٨) الخالص: اسم لكورة عظيمة شرق بغداد وتقع على نهر يحمل نفس الاسم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٣٩.

(٤٩) الحوادث، ص٣٩٧.

(٥٠) ذات العصمة شاه: لبنى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن أيوب، كانت زوجة أحمد بن الخليفة المستعصم بالله، ثم تزوجها الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني توفيت سنة (٦٧٨هـ /١٢٧٩م). ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص٤٣٩.

(٥١) مشهد عبيد الله: او مايعرف بقبر النذور ويعرف أيضا بقبر ابي رابعه مشهد بظاهر بغداد (شرقي الاعظمية) فيه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنهم) كان بعض الخلفاء أراد قتله خفية فجعل هناك زبية وستر عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب المتوفى (٢٢٨هـ/ ٨٤٢م).

ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٤،ص٣٠٥، مصطفى جواد ،سيدات البلاط العباسي ،دار الكشاف (بيروت،١٩٥٠م) ص ١٧٦.

(٥٢) مجهول، الحوادث، ص٤٠٨.

(٥٣) ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي: أحد كبار الدولة الإليخانية، دخل العراق بصحبة السلطان غازان سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، ثم أرسل إلى خراسان في مهمة قتالية، بعدها رجع لفتح بلاد الشام، قُتل في كيلان سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م). ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص٣٩٣.

(٥٤) سلمان الفارسي: صحابي جليل، يكنى أبا عبد الله، أصله من مدينة أصبهان، أسلم في السنة الأولى للهجرة، شهد غزوة الخندق، ولم يزل بالمدينة حتى خرج السلمون لفتح العراق فخرج معهم، وحضر فتح المدائن وتولاها حتى وفاته فيها. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٠؛ القزويني، عبد الكريم بن محمد (ت، ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م) التدوين في أخبار قزوين، تحقيق، عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٧م) ج١، ص٧٠.

(٥٥) الحوادث، ٤٥٤.

(٥٦) تبريز: مدينة صغيرة ذات نعمة عامرة، وهي أشهر مدن أذربيجان، ذات أسوار محكمة بلآجر والجص، وفيها عدة أنهار جارية. ينظر: مجهول (ت، بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق، السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية (القاهرة، ٢٠٠٢٣م) ص١٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣.

(٥٧) الحوادث، ٤٥٤.

(٥٨) الحوادث، ٤٩٦.

(٥٩) دار المسناة: وهي من أشهر الأبنية التي بناها الخليفة الناصر لدين الله ببغداد، إذ بنيت سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) على شاطئ نهر دجلة بالجانب الشرقي، وهي أول دار شرع في بنائها الخليفة للنزهة والفرجة، وكان المتولي لعمارتها الحاجب الأعز، وكان الخليفة كثير الملازمة لها والحضور فيها. ينظر: ابن المظفر، محمد بن تقي الدين الايوبي (ت، ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق، حسن حبشي، عالم الكتب (القاهرة، د. ت) ص٨٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٧٠.

(٦٠) الحوادث، ص٥٣٣.

(٦١) الترب ، جاءت تسمية التربة اصطلاحا لتعني الأبنية المقامة فوق رفاة الائمة والعلماء ومشاهير الامة وقادتها ،تح ،احمد سالم الكيلاني ،حسن عادل النعيمي ،مركز الشرق الأوسط ج١،ص٢٢؛الجبوري،إبراهيم حسين خلف عمارة وزخرفة الروضات والاضرحة الإسلامية ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ،(الموصل ،٢٠١٢)،ص ٣٣ .

(٦٢) المدافن ، جاءت من كلمة دفن وتعني الستر والموارة دفنه يدفنه والجمع ادفان ودفناء ودفن الميت وراه ودفن سره أي كتمه والتدافن التكاتم وبقره دافنه الجذام وهي التي انسحقت اضراسها من الهرم . ينظر، ابن منظور

المصدر السابق ، ج٧،ص ١٢٩.

(٦٣) عن أهمية المدافن والترب عند المسلمين يراجع: عثمان، محمد عبد الستار، التربة الإيوان من أنماط المباني فوق القبور في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة العصور، مجلد (٧)، لندن، ١٩٩٢م، ج٢، ص٢٧٧.

(٦٤) قراح أبي الشحم: القراح تعني البستان عند أهل بغداد، وهناك عدة محال تسمى بقراح مضاف إلى رجل يعرف باسمه لأنها كانت قديماً بساتين ثم دخلت في عمارة بغداد، ومنها قراح أبي الشحم وهي محلة كبيرة بالجانب الشرقي من بغداد تقرب أن تكون مدينة فيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣١٦؛ ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٠٧١؛ مكسمليان، شتريك، خطط بغداد وأنهار العراق القديمة دراسة خططية، ترجمة، خالد إسماعيل، المجمع العلمي العراقي (بغداد، ١٩٨٦م) ص١٤٠.

(٦٥) الحوادث، ص٤٠٨.

(٦٦) الحوادث، ص٤٤١.

(٦٧) الحوادث، ص٤٠٩.

(٦٨) مجهول، الحوادث، ص٤٩٦.

(٦٩) مجهول، الحوادث، ص٥٣٣.

(٧٠) بهاء الدين حسن بن محاسن التاجر الصرصري: أحد التجار الذين حظوا بمنزلة عالية من الاحترام والتقدير في العراق في العصر الإليخاني، وتمتع بالرئاسة والنفوذ والوجاهة، ووصف بالإحسان والبر والكرم المتوفى (٦٧٧هـ). ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج٤، ص١٨١.

(٧١) الحوادث، ص٤٤٢- ٤٤٣.

(٧٢) إمام الدين يحيى البكري القزويني: صاحب ديوان العراق، قام بعدة أعمال عمرانية أهمها بنائه للمدرسة البكرية أو الأمامية بناها في عهد السلطان غازان، توفي سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م). ينظر: الصفدي، صلاح الديم خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق، علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر (بيروت، ١٩٨٨م) ج٥، ص٥٧٩.

(٧٣) درب فراشا: محلة ببغداد في الجانب الشرقي على نهر المعلى، كانت عامرة حتى أصابها الحريق سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) فأتى على أغلب أبنيتها حتى لم يبق للخشب الذي في الحيطان أثر. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢١٢؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ص٢٨٤؛ المخزومي، صادق شاكر محمود، معجم دروب بغداد في العصور العباسية (بغداد، ٢٠١٤م) ص٢١٦- ٢١٧.

(٧٤) مجهول، الحوادث، ص٥٤٥.

(٧٥) مجهول، الحوادث، ص٣٦٢.

(٧٦) شمس الدين حميد الخراساني: لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة.

(٧٧) الحوادث، ٣٩٩.

(٧٨) مجهول، الحوادث، ص٤٠٦-٤٠٧.

(٧٩) المدرسة العصمتية: نسبة إلى ذات العصمة شاه لبنى زوج الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني، أوقفتها على المذاهب الأربعة، ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج١، ص٤٣٩، ج٤، ص٤٢٤.

(٨٠) مجهول، الحوادث، ص٤٠٨.

(٨١) الحوادث، ص٤٤٣.

(٨٢) مجهول، الحوادث، ص٥٤٥.

(٨٣) باب الظفرية: أحد أبواب سور بغداد الشرقية، سميَّ بذلك نسبة إلى محلة الظفرية إحدى أكبر محال بغداد التي كانت تقع إلى جواره، وكان يسمى أيضاً باب خراسان، ولا تزال آثار الباب قائمة قرب منطقة الشيخ عمر السهروردي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢٧؛ مصطفى جواد، أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مكتبة الحضارات (بيروت، ٢٠١١م) ص٢١٠.

(٨٤) مجهول، الحوادث، ص٣٨٩.

(٨٥) مزملة: نوع من السقايات وهي عند البغداديين جرة او خابية خضراء يبرد فيها الماء وقيل انها حباب الماء المخصصة للشرب وكان هذا النوع من السقايات متوفرا في معظم اسواقهم ومساجدهم . ينظر ، الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ،ج٩، ص١٤١؛ عبدالحسين مهدي ، الخدمات العامة في بغداد(٤٠٠ -٦٥٦هـ /١٠٠٩-١٢٥٨م) وزارة الثقافة (بغداد،٢٠١٣م)ص١٣٣ .

(٨٦) الحوادث، ص٣٩٩

(٨٧) نهر جعفر: نهر بين واسط ودجلة عليه قرى وهو أحد ذنائب دجلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣١٩.

(٨٨) الحوادث، ص٤٠٧.

(٨٩) المدرسة النظامية: أقدم وأشهر مدرسة بنيت ببغداد، أمر ببنائها سنة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م) الوزير السلجوقي نظام الملك فنسبت إليه، وظلت إدارتها في أيدي ورثته حتى سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م). ينظر: أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت، ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة، د. ت) ج٢، ص١٨٥.

(٩٠) الحوادث، ص٤٠٦.

(٩١) الحوادث، ص٤٢٧.

(٩٢) القورج: أحد المشاريع الإروائية القديمة التي تعود إلى العصر الساساني في العراق، يأخذ مياهه من نهر القاطول الأعلى قبل مصبه بالنهروان، وتصب مياه القورج في نهر دجلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٢؛ ابن الوردي، سراج الدين عمر بن المظفر (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق، أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية (القاهرة، ٢٠٠٨م) ص٢٥٣.

(٩٣) الحوادث، ص٤٣١.

(٩٤) تستر: مدينة بالأهواز، وهي أكبر وأعظم مدنها، واسمها يعني النزه والحسن والطيب، فُتحتْ على يد أبو موسى الأشعري (رض). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٦٢.

(٩٥) الحوادث، ص٤٤٩- ٤٥٠.